الجزء الثامن

المعلم

السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك مرتين في الشهر

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٦ ١٥ رمضان سنة ١٣٢٤

الآثار الشرقية في اميركا

حديث مع مسز سمث السائحة والكاتبة الشهيرة

هي والجامعة

دبلن نوهمشير — هو مصيف خاص بالاغنياء ومنازلهم فيه مزخرفة ومزينة بالآثار القديمة وحول كل منزل حديقة تظلها انواع كثيرة من الاشجار والازهار . فاذا دخلت الى اي منزل من تلك المنازل شعرت انك تشهد الدنيا كلها بما فيها من محاسن وزخارف ومصنوعات الامم المختلفة القديمة والحديثة

والى جانب هذا المصيف الانيق جبل « ويس » اي جبل العلماء وحري بهذه الاكمة ان تسمى بجبل العلماء لانها ملتقى الفلاسفة والمخترعين ومحرري الصحف ومراسليها وغيرهم من اهل العلم فانهم يقضون فيها بضع اسابيع لاجل الراحة من عناء الاشغال . وكذلك يقصد هذا المكان باعة السجاد والحرير وبعض البضائع الشرقية على اختلاف نحلهم من سوريين وارمن واتراك ومعظمهم سوريون

كنت ذات يوم اطوف في هذا المصيف فصادفت منزل السائحة الشهيرة والكاتبة

المعروفة مسز سمث وزوجها المستشرق الشهير وهو المستشرق الذي ارسلته لجنة العلماء الى الديار المصرية والسورية للبحث عن الآثار القديمة ونسخ الرسوم واحرف الكتابة عن جدران المدن القديمة الخربة . فنزلت من عربتي وقرعت باب المنزل فاذا هي هنيهة حتى وافت سيدة جميلة باسمة وهي في مقتبل العمر ونضارة الشباب وكلمتني بالعربية الفصحى قائلة : « ادخل انما نحن شرقيون » فدخلت الى قاعة الاستقبال وهناك شاهدت شيخاً جالساً على كرسيّ وفي يده كتاب عربي فتحققته وعرفت انه مقامات الحريري . فلما شعر بدخولي قال (اهلاً . على الرحب يا شرقي) . فرددت صدى مجاملته وجلست بالقرب منه وجعلنا نتحادث . وبعد قليل دخلت عقيلته وفي يدها علبة سيكارات مصرية وخيرتني بينها وبين السيكار فاخبرتها اني لست في عداد المدخنين

وبعد ما جلست افتتحت حديثها عن علماء سوريا ومصر وقالت : « اني آسفة كثيراً على ذهاب قوة هذين القطرين وعظمتهما ولكن القطر المصري ارقى حالاً من السوري . وعجبت من ان علماء سوريا يهاجرون الى مصر حتى ان معظم الجرائد المصرية ينشئها ويحررها سوريون مع ان الواجب يقضي عليهم ان يبقوا في وطنهم ليفيدوه . وقد علمت منذ مدة ان الدولة العثمانية منعت دخول بعض المجلات والجرائد المفيدة الى سوريا . فما هذا الظلم ! الا يشفق هؤلاء الحكام على رعاياهم السوريين . ولقد توغلت في نواحي لبنان وسوريا ووجدت قرى كثيرة لا مدارس فيها الا مدارس رعي المواشي والنفخ في القصب ولعب الدبكة مع نسائهم . فما بال الحكومة غافلة عن فتح المدارس وارسال المعلمين لكي يهذبوا الصغار ويعلموهم . وما بال رجال الدين لا يرسلون الى هناك مرشدين »

وقد استرسلت مسز سمث بهذا الحديث حتى قالت : ــ « عندما كنت في ذات يوم جالسة مع احد علماء مصر انا وزوجي وزوجة العالم المصري شعرت ان الرجل مهتم بامر ذي بال فقلت له مالي اراك قلقاً اليوم وغاضباً خلافاً لعادتك ؟ فقال : ــ ايها السيدة نشأت في هذه الايام مناظرة بين المفتي الشيخ محمد عبده والجامعة بشأن ابن رشد وهو فيلسوف مسلم كما تعلمين وقد تفضي هذه المناظرة الى عاقبة وخيمة لان الظاهر من امر صاحب الجامعة انه قدير ومطلع ولا نعلم ماذا يجد . ولما سمعت منه هذا الكلام نقت الى مطالعة الكتاب والجامعة ولما ذهبنا من عند هذا الشيخ وقصدت الاسكندرية سألت هناك عن ادارة الجامعة حتى اهتديت اليها واشتريت منها اورشليم الجديدة وتاريخ المسيح والرد على فلسفة ابن رشد وانصرفت . وقد قرأت رواية اورشليم الجديدة وهي لو قرئت على صخر لتكلم وتفتت لما هي

عليه من الحب الطاهر المحزن . واظن ان صاحب الجامعة قاسي القلب والاَّ لما قدر ان ينسج رسائل الموت الاخيرة . وساهتم بترجمة هذه الرواية (١) في قالب تمثيلي واقدمها للمؤلف هدية اذا عرفت محل اقامته . واني مجتهدة كل الاجتهاد بترجمة « الخطبة على الجبل » التي فيها . وبعد ذلك سافرت من مصر وما عدت علمت شيئًا عن الجامعة

وعند هذا الكلام تناولت من جيبي مجلة الجامعة وقدمتها لها وقلت ان صاحب الجامعة الآن في نيويورك يصدر مجلته منها . فسرَّت بذلك سرورًا لا مزيد عليه

وبعد ذلك ارتني غرفة المطالعة . ولا اقدر ان اصف الكتب التي فيها . ولكن لما كان كل انسان يعبأ بلغته ارتني على الخصوص ما عندها من الكتب العربية واليك اسماء بعضها

ابن خلدون كامل الاجزاء . مقامات الحريري . مجمع البحرين . تاج العروس . لسان العرب . الكشكول . ابن خلكان . ابو الفداء . القرآن الشريف . تاريخ سوريا . معجم البلدان . ابن رشد . وهناك كتب اخرى كثيرة من تاريخية وفلكية وعلمية وادبية وشعرية وطبية وخلافها وكل هذه الكتب طبع اجانب كالهند وبرلين واكسفورد وتونس

وارتني نسخة من الكتابين اللذين تطبعهما الآن وهما من قلمها احدهما يسمى « الرحلة الافريقية » والآخر « الرحلة الشرقية » وهما مزينان برسوم بعض المشاهدات العجيبة والعادات الغريبة . ومن جملة رسوم « الرحلة الشرقية » رسم يمثل لفيفًا من الدروز في جبل حوران وامامهم حلة فوق الموقد وهم ملتفون حولها من رجال ونساء وبنات واولاد وامرأة ممتطية على جمل واخرى على ثور وغير ذلك . وهناك رسم آخر يمثل دروزًا مع نصارى في بعض قرى لبنان وبينهم عروس راكبة على فرس وبعضهم رافع جرن الكبه بقبضته اليمنى على ارتفاع ساعده . وهناك رسوم اخرى لسائر العادات في المآتم والحفلات المتنوعة

« والرحلة الافريقية » مزينة برسوم من هذا القبيل منها رسم يمثل عبيد افريقيا عراة

---

(١) شرع في اميركا الجنوبية احد ادباء السوريين المتخرجين في كلية عليا في الارجنتين بترجمة « اورشليم الجديدة » الى اللغة البرتغالية . وفي هذا الشهر شرع ايضًا في مكان آخر بترجمتها الى اللغة الفرنسوية بمراقبة مؤلفها . ومن ذلك يظهر ان في العزم ترجمتها الى اللغة الانكليزية ايضًا . فاذا انتظرت حضرة السيدة الفاضلة مدة قصيرة اصبحت سيفي غنيٌ عن عناء ترجمتها